خطة تسديد التبليغ، وجسر الهوة بين الدين والواقع

ذ. إدريس الزعري المباركي

عضو المجلس العلمي المحلي لفاس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين، سيدنا محمد المبعوثِ رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين، ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد، فلقد أنزل الله تبارك وتعالى الكتب، وأرسل الرسل من أجل صلاح الإنسان، وتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة، فكانت رسالة الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم دعوةً وتوجيها وإرشادا إلى طريق الهداية والصلاح، وكانوا بالوعظ والتواصي بالحق يَدُلُّون الناس على الحق والخير والفضيلة، ويحذِّرونهم من الفساد والضلال والرذيلة ...

وبعد ختم النبوة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حمل العلماء والدعاة أمانة تبليغ الرسالة وإرشاد الناس؛ فهم ورثة الأنبياء في نشر العلم الشرعي، والدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتصدي للشبهات التي تثار حول الإسلام والرد عليها بالحجة والبرهان.

وبهذا يكون العلماء والدعاة هم حملة مشعل الهداية بعد الأنبياء، يبذلون جهدهم في إصلاح المجتمع وتربية الأجيال على القيم والأخلاق الإسلامية السمحة، محققين بذلك استمرار رسالة الأنبياء في هداية البشرية وإسعادها.

غير أن رسالة العلماء والدعاة قد تقاصرت اليومَ عن بلوغ غاياتها السامية في إسعاد البشرية وإرشادها، فانصرفت النفوس عن نور الهداية إلى ظلمات الشهوات،

وأعرضت القلوب عن معين الحكمة إلى سراب الملذات.

ومع ما للوعظ والإرشاد من فائدةٍ عظيمة، وأثر طيب في تزكية النفوس، وتوجيه السلوك نحو الصراط السوي والنهج القويم، إلا أن ما يُستفاد اليوم من الواقع هو عدم تحقُّقِ هذا التأثير وحصول ذاك الإصلاح والتغيير في سلوك الناس؛ فقد تلاشت أو كادت تتلاشى جهود المصلحين في خضم الحياة المادية الجارفة، فلم تجد كلماتهم في النفوس مستقراً، ولا وجدت مواعظهم في القلوب موطناً، حتى غدت حكمتهم كأثر بعد عي؛ حيث انقطعت أو كادت تنقطع الصلة بين الداعين إلى الحق وبين المدعوين، فأضحت نداءات الإصلاح والهداية تتردد في فضاء الحياة من دون صدى، وباتت رسائل الخير والفلاح تتوارى خلف حجب الغفلة والإعراض، وذلك بسبب (الانفصام الذي طرأ على حياة الناس بين انتسابهم إلى الدين، وحرصهم على ظاهر العبادات، وبين السلوك المخالف لكل أعمال التوجه إلى الله والبعد عن مَحارِمه ... مما يجعل من العبادة - التي لا أثر لها في صلاح حياتهم - عبادةً غير نافعة، وغير ذات أثر في واقع الناس وسلوكهم، فيبقى ما يَبْذُله العلماء والخطباء والوعّاظ والمرشدون والدعاة وغيرهم من جهود موصولة يبقى مجردَ كلام وعظي مُرْتَجلْ، ولو بلغ في الفصاحة ما بلغ)[1].

في ظل هذا الواقع المُقْلِق والمُحيِّر يبرز سؤال يتردَّد صداه بشكل لافت ومُثير، سؤال شغل ويشغل بالَنا جميعا؛ إذْ كثيرا ما نردِّده فيما بيننا وبين أنفسنا ... هذا السؤال هو: لِـمَ لا نرى الحياةَ الطيبة التي وعدنا بها الحق سبحانه مُتجلِّيةً في واقع كثير من المسلمين اليوم؟ ولِمَ نشهد العديد منهم يُكابدون مشقَّات الحياة وعثراتها، رغم انتمائهم لهذا الدين العظيم؟

ما الذي أصابنا؟ وكيف نفسر هذا التغير السلبي -الطارئ- في مبادئنا وقِيَمنا؟ وما هي الأسباب الكامنة وراء تلاشي إنْ لم نقل تآكل تلك القيم النبيلة، وانحطاط الأخلاق والمبادئ السامية التي جاء بها ديننا الإسلامي الحنيف، والتي أصبحت تتراجع

1- يراجع: دليل المجالس العلمية: ص 7 - 9 .

يوما بعد آخر ... وما هي الأسباب التي يمكن أن تفسر هذا التغير في القيم والأخلاق؟

فهل هذه التغيرات السّلبية التي يشهدها المجتمع في بعض قيمه الأصيلة راجعة إلى العولمة والتأثير الثقافي، والانفتاح على ثقافات الأمم الأخرى؟

وهل ما نُعانيه من تفسُّخ في النسيج الاجتماعي، وتراجع في الفضائل الإنسانية، والقيم الأخلاقية راجع إلى التطور التكنولوجي السريع الذي غيّر أنماط الحياة الاجتماعية، والتواصل بين الأفراد بشكل كبير؟ أم أن الضغوط الاقتصادية هي التي تدفع البعض أحْيانا للتخلّي عن بعض القيم من أجل تحقيق مكاسب مادية؟

أو هل مردّ تلك التغيّرات السّلبية التي يشهدها المجتمع إلى ضُعْف التربية الدينية والأخلاقية، وعدم التركيز في بعض الأحيان وبشكل كاف على غرس القيم الإسلامية النبيلة؟

أو أن السبب يعود بالأساس إلى ضعف دور المؤسسات التعليمية والدينية في مجاليْ التربية وغرس القيم، وتراجعها في السهر على تقوية وترسيخ الروابط الأُسريّة، مما أثر سلباً على العلاقات الاجتماعية وعلى نقل القيم بين الأجيال؟

وهل ما نعيشه من انحدار في المعايير الأخلاقية، وتدهور في المنظومة القِيمِيَّة، وتقهقر في المعايير السلوكية سببه الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي التي قد تُرَوّج أحياناً لقيم مخالفة للتعاليم الإسلامية.

أو أن هناك أسبابا وعوامل أخرى هي التي أدّت إلى ذلك؟

من المهم التأكيد هنا على أن هذا التغير في القيم والأخلاق، وأن هذه الظواهر السلبية ليست عامة، ولا تمثل المجتمع المغربي بأكمله، فهناك جهودٌ حثيثة، فردية ومؤسسية، تسعى للحفاظ على القيم الإسلامية النبيلة، وتحرص على غرس فضائل الأخلاق الأصيلة، والحفاظ على جوهر الدين وقيمه الأساسية.

غير هذا التحول، وإن كان لا يمثل الصورة الكاملة للمجتمع المغربي، إلا أنه

يستدعي التأمل والدراسة، ويستحق منا جميعا التفكير العميق والنقاش الجادّ، فهو يمس صميم هويتنا وقيمنا كمجتمع أصيل.

من هذا المنطلق، ووعيا بهذا الواقع المتشعب، وشُعورا من المؤسسة العلمية المغربية بأن التبليغ الممارس لحدّ الآن لم يحقق ما هو مقصود شرعا من الآثار الحميدة والثمار المرجوّة ... فقد بادرت مؤسسة العلماء برعاية مولانا أمير المومنين حفظه الله، إلى إطلاق منظومة مرجعية مؤطِّرة لمشروع تجديدي طموح في مجال التبليغ الديني، تُقدّم للعالم من خلاله نموذجا في التديّن المعتدل ... أطلقت على هذا المشروع اسم "خطة تسديد التبليغ".

انبثقت هذه الخطة المباركة في سياق تاريخي متميز؛ إذ تزامنت مع فترة تحول مهمة في تاريخ المغرب، وفي توقيت مثالي مواكب للمشروع النهضوي الكبير الذي يقوده بحكمة وبُعد نظر أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس - أيّده الله - والذي يتجسد في رؤيته الطموحة لتطوير البلاد، وتعزيز إشعاعها الحضاري.

ولعل من أبرز تجليات هذا المشروع النهضوي الشامل تلك الجهود الحثيثة التي بذلتها وتبذلها المؤسسة العلمية المغربية برعايته السامية أيده الله، من أجل حماية التدين المغربي وتحصينه من نزعات الغلو والتشدد والتأثيرات الخارجية؛ حيث استقر العمل بالثوابت والاختيارات المذهبية حتى أصبحت علامةً مميّزة على نموذجية التدين المغربي في وسطيته واعتداله، ووحدته وانسجامه، وسماحته وانفتاحه.

تستمد هذه الجهود مشروعيتها وأصالتها من حقيقة أن رسالة تبليغ الدين[1] مهمة

1- إن تبليغ الدين هو نقل وإيصال تعاليمه وأحكامه إلى الناس بشكل صحيح وواضح ومفهوم. يقال: "بلّغته الخبر وأبلغته مثلُه، وبلّغته أكثرُ ". يراجع: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى بتحقيق: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان الطبعة: الأولى - 1423هـ / 2002 م، ص 66. وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن " الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء. تقول بلغت المكان، إذا وصلت إليه. وقد تسمى المُشارفة بلوغا بحق المقاربة. قال الله تعالى: " فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف " [الطلاق: 2] يراجع: معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، بتحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر1399هـ - 1979م، ج 1 ص 301 مادة " بلغ ".
إن المعنى الأساسي للتبليغ هو الإيصال والبيان؛ فهو نقل المعرفة الدينية من مصادرها الأصلية الأصيلة: (القرآن والسنة)

نبوية شريفة، خصَّ الله بها صفوة خلقه من الأنبياء والمرسلين ... قال تعالى: ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ **[المائدة: 101]**، وقال سبحانه قائلا: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾**[المائدة: 67]**، وقال عز وجل: ﴿فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم﴾**[هود 57]**.

ثم وكل سبحانه وتعالى هذه الأمانة من بعد الأنبياء والمرسلين للعلماء الراسخين، قال الحبيب المصطفى ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء"[1] . وقال عليه السلام: **"بلغوا عني ولو آية"**[2] .

فتسديد التبليغ[3] إذن مشروط بضمان وصول رسالة الدين إلى المبلَّغين بشكل صحيح ومؤثر؛ ذلكم أن إبلاغ الرسالة بالطريقة الصحيحة المناسبة نهج حكيم يضمن نقاء المادة المبلَّغة من شوائب البدع والأهواء، ويحرص على سلامة إيصالها للناس وفق منهج النبوة في البلاغ والبيان.

وحينما يتصدى المبلِّغ لهذه المسؤولية الجليلة، فإنه يتأسى بخاتم النبيين ﷺ في تبليغ رسالة السماء، مما يستوجب تأهيلا علميا متينا وإعدادا منهجيا عميقا، يؤهل المبلِّغ لحمل هذه الأمانة العظيمة بما تقتضيه من فقه سديد بالدين، وبصيرة نافذة بأحوال المدعوين، وقدرة على اختيار الأساليب المناسبة في الدعوة والتبليغ، فضلاً عن التحلي بالحكمة والصبر في أداء هذه الرسالة السامية، مستلهما في ذلك هدي النبيين ومنهج العلماء الربانيين في تبليغ دين الله للعالمين.

إلى الناس بأمانة ووضوح. وعليه فإن التبليغ منوط بأمرين مهمين اثنين:
- الأول: النقل الأمين للدين من دون تحريف أو تغيير.
- الثاني: التوضيح والبيان بما يناسب فَهْمَ المتلقي وظروفه.

1- رواه أبو الدرداء، يراجع: جامع الترمذي، صحيح ابن حبان، منصة محمد السادس للحديث الشريف تحت رقم: 5994.

2- رواه عبد الله بن عمرو بن العاص، يراجع: صحيح البخاري، منصة محمد السادس للحديث الشريف تحت رقم: 5080.

3- يقوم تسديد التبليغ على الوثوق والتثبت من صحة المحتوى المُبلَّغ قبل نقله للناس، مع اختيار الأسلوب المناسب للفئة المقصودة بالتبليغ، فما يَصلح لفئة قد لا يصلح لأخرى، وهذا يتطلب فهما عميقا بأحوال المتلقين وخصوصياتهم، كما يتطلب ترتيب الأولويات في التبليغ، فيُبدأ بالأهم فالمهم، ويُركَّز على أصول وكليات الدين ومبادئه قبل الخوض في فروعه وتفاصيله، مع تجنب الانحرافات التي قد تشوّه مقصد التبليغ مثل: التشدد غير المبرر، والتساهل المفرط، والخلط بين القواعد والمستثنيات، وإهمال الأحوال والخصوصيات ...

انطلاقاً من مستلزمات هذه المسؤولية العظيمة، فإن مهمة تبليغ الدين ونشر العلم الشرعي تمثل تحدِّيا يتعين على علماء الأمة وعالماتها، وأئمتها وخطبائها ووُعّاظِها وواعظاتها أن يتجرّدوا له بما هم مؤهّلون له من تعليم المسلمين حقائق الدين ومبادئه وقيمه السامية، وتوجيه سلوكهم وتصرفاتهم نحو الخير والصلاح، والنأي عن الشر والفساد ...

إن مُتأمل حال الأمة الإسلامية اليومَ يلحظ أن واقعهم بعيد كل البعد عن تعاليم دينهم السمحة وعن مقاصده السامية، وإن الناظر في أحوالهم يجد مفارقة صارخة بين ما يهدف إليه الدين من حياة طيبة للناس، وبين واقع " اختلافهم ونزاعهم، وسوء معيشتهم واضطراب أحوالهم أفرادا وأسرا وجماعات، فضلا عن شيوع كثير من مظاهر الانحراف والآفات الصحية والنفسية والسلوكية وغيرها؛ أي معظم ما ينافي مراد الدين في هديه وإرشاده، وسعيه إلى جعل حياة الناس حياة طيبة "[1] .

هذا الخلل يستدعي وقفة جادة للتفكير والبحث عن الأسباب والحلول ... وهنا يأتي دور العلماء في مراجعة طرقهم وأساليبهم في تبليغ الدين وتعليمه للناس، بما يضمن توجيههم وفق خطة محكمة، وبكفاءة أعلى نحو تحقيق السعادة الشاملة، والحياة الكريمة، والرفاه المستدام لجميع أفراد المجتمع.

لمعالجة هذا الخلل، تم وضع خطة "تسديد التبليغ" التي تهدف فيما تهدف إليه تصحيح المفاهيم الخاطئة، وتجنب التفسيرات البعيدة عن روح الدين ومقاصده. "حتى يصح الإيمان ويثمر العمل الصالح من جديد، وحتى توصَل العبادات بثمراتها في حياة الناس من جديد؛ وذلك تسديدا للفهوم القاصرة عن إدراك المعاني، وتجنبا للتأويلات البعيدة المتفلّتة من تلك المعاني"[2] وحتى تؤتي العبادات ثمارها الإيجابية في حياة الناس، وتعود أعمالهم محققة لمُقوِّمات الحياة الطيبة والعيش الكريم.

1- راجع خطة تسديد التبليغ - دليل مرجعي في التأصيل والفهم والتنزيل، منشورات المجلس العلمي الأعلى، الطبعة الأولى 2024م، ص 74.

2- المرجع السابق، ص 74 - 75.

إن المُعْضِلة التي تُواجهنا في عصرنا الحاضر تتمثل في وُجودِ هُوَّة عميقة بين ما يدعو إليه الإسلام، وبين ممارساتِنا وأعمالنا اليومية ... أعني الهوَّة بين ديننا وتديُّننا ... فكثيرة هي الشعائر والعبادات التي تُؤدى، لكن دون أن يكون لها أثرٌ حقيقي في سلوك الناس وأخلاقهم، ممّا يُحْرِمُهم من أثار الدِّين وثِمار التديُّن...

إن الفهم الصحيح للعلاقة بين الدين والتدين هو مفتاح من مفاتيح خطة تسديد التبليغ ... فالتديُّن الحقّ ليس مجردَ مظاهر خارجية، بل هو التزامٌ قلبي وعمَليّ بتعاليم الإسلام، يتجلى في سلوك الفرد وأخلاقه، ويُسْهم في نهضة الأمة وتَقدُّمها. قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ **[النور: 53]**، وقال سبحانه قائلا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ **[الكهف: 102 - 103]**.

إن خطة تسديد التبليغ مشروع تسعى من خلاله المؤسسة العلمية إلى النهوض بأمانة العلماء، ودعم رسالتهم في واجب تبليغ الدين، من أجل تحقيق مقومات الحياة الطيبة في المعيش اليومي للناس؛ بحيث يكون لإيمانهم وعباداتهم ثمرات تنعكس على نفوسهم بالتزكية وصلاح الباطن، وعلى سلوكهم بالاستقامة وصلاح الظاهر، وذلك تحققا بوعد الله تعالى لعباده بهذه الحياة المشروطة بالإيمان وبثمرته في العمل الصالح، في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ **[سورة النحل، الآية 97]**.

وإذا كان الهدف من هذه الخطة هو الارتقاء بالخطاب الديني لينفُذ إلى قلوب المخاطبين، ويَجِد تأثيرا أقوى في نفوس السامعين، وذلك من خلال تقليص الهوة بين تعاليم الإسلام وواقع الناس، وتقوية الوازع في النفوس، سواء كان وازعاً قرآنياً يستمد قُوَّته من الإيمان والتقوى، أو وازعاً سُلطانياً يستند إلى قوة النظام والقانون،

فإن الهدف الأسمى منها هو استعادة الثقة في نجاعة الدين في الحياة المعاصرة، وقدرته على التعامل مع مستجداتها ...

ولذلك فهي تمثل مشروعاً تجديديا متكاملاً يوازن بين ثوابت الدين ومتطلبات العصر، في إطار يحفظ للنموذج المغربي تمَيُّزَه وفَرادَته، هذا النموذجَ الذي يستظل بإمارة المؤمنين الحامية للملة والدين، ويستند إلى مشيخة عِلمٍ مُتوارثة، ويَعْتمد على مؤسسة علمية مُنظَّمة ... فهو ينطلق من رؤية واضحة مفادها أن الخطاب الديني ينبغي أن يرسخ قيم الاعتزاز بالهوية المغربية ويعزز الانتماء الوطني، مع الحفاظ على الثوابت الدينية المتمثلة في إمارة المؤمنين والعقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني.

إن المقصود من رسالة التبليغ - في منظور هذه الخطة السديدة -[1] أن تكون استثمارا عمليا في القيم والأخلاق التي هي جوهر الدين؛ إذ تحضر فيها أحكامُ الدين ومبادئُه وقِيَمُه باعتبارها مصدر سعادة للناس في حياتهم الدنيا والآخرة، كما تحضر باعتبارها فاعلا تنمويا داعما لبرامج النهوض والتنمية في قطاعات التربية والتعليم والاقتصاد والصحة والأسرة والمجتمع والبيئة ... كما تتصدى للظواهر السلبية التي تهدد نسيج المجتمع كالطلاق والفساد المالي، وآفةِ تعاطي المخدرات، والوقوع في الجرائم، وحوادث السير، والارتشاء، والخيانة والغش والكذب ... مستهدفةً تخليصَ النفس من المفاسد المُهْلِكات والحدّ من كل شوائب الهوى والأنانيات.

إن خطة تسديد التبليغ منظومة متكاملة تهدف إلى جَسر الهوة بين التعاليم الدينية السامية والواقع المعيش للناس، وإحياء الإيمان في نفوسهم متيقّنين بأن التديُّنَ السديد هو السبيلُ الأمثلُ لتحقيق السعادة في الدارين ... فهي تسعى إلى تزكية النفوس وتطهيرها من شوائب الدنيا، عبر ترسيخ التوحيد، وتعميق الصلة بالله تعالى، وتعزيز المراقبة الذاتية في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحثِّ على أداء الزكاة ومساعدة المحتاجين ... مرتكزةً على غرس القيم النبيلة في

1- يراجع مبحث التنزيل في كتاب خطة تسديد التبليغ - دليل مرجعي في التأصيل والفهم والتنزيل، منشورات المجلس العلمي الأعلى، الطبعة الأولى 2024م، ص 112 وما بعدها.

المجتمع، من خلال تشجيع الكسب الحلال والإتقان في العمل، وتوطيد أواصر الأسرة، والمحبة بين الأزواج، وحُسْن تربية الأولاد، ونشر مبادئ العدل والتكافل والمودَّة ...

ويسعى تسديد التبليغ إلى تجنُّب الإسراف على النفس والنَّأْيِ عن التبذير، وتقليل العَنَتِ النفسي والتكاليف المادية على الفرد والجماعة والدولة، وبذلك تجمع الخطة بين البُعد الروحي والعمَلي، والفردي والجماعي، والدنيوي والأخروي، في منظور متكامل يجعل من الدين منهجاً لتحقيق السعادة المنشودة.

ويُمثِّل تنزيلُ الخطةِ مرحلةً محورية تطلبت استيفاء متطلباتٍ قبلية أساسية، يأتي في مقدمتها إقناع العلماء بمَهَمَّتهم انطلاقاً من اليقين بضرورة السعي في تحقق وَعْدِ الله تعالى لعباده بالحياة الطيبة، والثقة في هُوية البلد وثوابته الدينية، والتمكنِ من فقه الواقع وشروطه.

ويقوم تنزيل الخطة[1] على عناصر ضرورية تبدأ بالتعريف بمشروع التبليغ ومنهجِ تنزيله لدى مُختلِف المَعنيّين، من رؤساء المجالس العلمية الجهوية والمحلية وأعضائها إلى المرشدين والأئمة والخطباء والوعاظ، مع توفير المادة العلمية اللازمة من خُطب الجمعة، ودروس الوعظ والموادِّ الإعلامية والأدلة المرجعية.

وقد اختارت الخطة في مرحلتها الأولى مناطقَ تجريبيةً مُحدَّدة تشمل أربعةَ أحياء في المدن، وأربعَ قرى في البادية، حيث يُمثل المسجد في كل منها قلباً نابضاً، ومصدرَ إشعاع وانبثاق ...

ويتولى الإشرافَ على عملية التنزيل فريقٌ متكامل يضم رئيس المجلس العلمي المحلي، وعضواً مكلفا بالتتبع، وإمامَ المسجد وخطيبَه، ومرشدا ومرشدة، وواعظا وواعظة، وجماعة المسجد المُنْتدبة. وتَتِمُّ مواكبةُ التنزيل بتنظيم لقاءات تواصلية

1- يراجع مبحث التنزيل في كتاب خطة تسديد التبليغ - دليل مرجعي في التأصيل والفهم والتنزيل، منشورات المجلس العلمي الأعلى، الطبعة الأولى 2024م، ص 112 وما بعدها.

جهوية ومحلية تهدف إلى بيان قيمة المشروع، وتعريف المكلفين بمهامهم وتوحيد مناهج عملهم.

وتكتسي هذه المرحلة أهمية بالغة لكونها تمثل الاختبار العمَليّ لنجاعة الخطة وفعَاليَتِها في الميدان، حيث يتم تقييم نتائجها قبل تعميمها على باقي المناطق. وهي بذلك تُجسِّد حِرْصَ المؤسسة العلمية على التدرج المنهجي في تنفيذ مشروعها التجديدي ...

تشكل هذه المقومات منظومة متناسقة تؤسس لنجاح الخطة، حيث يتناغم فيها ثلاثي قوي: وحدة الاختيارات المذهبية، واستقرار المشهد السياسي والاجتماعي، وريادة المؤسسات التكوينية المغربية. هذا التناغم الثلاثي يدفع بالخطاب الديني نحو آفاق تتناسب مع مكانة المملكة وتطلعاتها المستقبلية.

خلاصة القول، إن خُطَّةَ تسديد التبليغ في حقيقتها - مثلما سلف الذكر - مشروع سديدٌ لإقامة الحياة السعيدة التي وعد الله بها عبادَه المؤمنين ... وإن الحياة السعيدة التي نَنْشُدُها جميعا والتي تتغياها المؤسسة العلمية من خلال مشروعها: "تسديد التبليغ" لهي غاية سامية وهدف نبيل، فهي ليست مُجرَّدَ تحقيق ثراء مادّيّ، أو رخاء اقتصادي، بل هي حياة يَسودُها الإيمان والتقوى، وتغْمُرها الأخلاق الفاضلة، والعملُ الصالح، إنها حالة من الكفاية والقناعة، تمنح الإنسان سكينة داخلية وطمأنينة نفسية ... إنَّها نورٌ يَشِعُّ في قلب الإنسان، فيُضيء حياته ويمتد أَثَرُه ليشمل المجتمع بكامله ... فبالإيمان نرتقي، وبالعمل الصالح نَبْنِي حياةً طيبة لأنفسنا ولمجتمعنا.

إن رسالة التسديد، امتدادٌ لرسالة الأنبياء والمرسلين في هداية الخلْق، وإرشادهم إلى سبيل الحق والرشاد ... وإن خطة تسديد التبليغ لهي من أشرف المهام وأجلّها، إذ بها تتحقق مقاصد الشريعة في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وإن التبليغ على وجه الإجمال، هو قيامٌ بالحرص على الناس حتى يقوموا بأركان الدين مظهرا وجوهرا، صُوَرا وروحا، بحيث يكون لها أثرُ النفع الذي يؤهّلهم للحياة الطيبة

التي يسودها الإيمان، ويُضيئها العلم، ويَعْمُرها العمل، ويُظلِّلها التراحم، ويحفظها الأمن، وتسعد فيها الأسر ... إنها صورة الحياة كما أرادها الله لعباده، حياةً طيبة في الدنيا، وسعادة أبدية في الآخرة.

وعليه، فإن على" المبلغ النموذجي المهتدي في نفسه أن يبدأ عمليا وميدانيا في هداية الناس بفتح أعينهم على حقائق أربع ترتبط بواقعهم، وهي:

أولا: أن أحوال المسلمين في التدين اليوم بعيدة عن المطلوب في اتباع أحكام الدين وفضائله؛

ثانيا: أن هذا الابتعاد هو سبب شقاء الناس في حياتهم إذا كانوا يؤمنون بأن الله تعالى وعد بالحياة الطيبة بشرطي الإيمان والعمل الصالح؛

ثالثا: أن شرط صحة العبادات مرهون بثمراتها في أخلاق المتعبد، قياسا على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ **[سورة العنكبوت، الآية 45]**؛

رابعا: أن علاج هذه الحال، وتضييق الشقة بين الدين والتدين، يكون بإيقاظ النفس من سباتها لكي تصبح كما سماها القرآن "نفسًا لوامة، وهي في لغة اليوم تسمى «الضمير»، أي نفسا تحاسب صاحبها كل وقت "[1] وحين.

وفي غمرة سَعْيِنا نَحْوَ الحياة الطيبة الموعودة، لنتذكَّر دوْمًا أن السعادة الحقيقية والطمأنينة الدائمة لا توجد إلا في رحاب الدين الحنيف. فلنبحث عنها في تطبيق تعاليمه السمحة، ولنستشعر حلاوة الإيمان في قلوبنا، ولذَّة الطاعة في أرواحنا. فما خاب من جَعَلَ رضا الله غايَتَه، وما ضَلَّ من اتخذ هَدْي النبي المصطفى ﷺ نبراسًا لحياته ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا

1- مقتطف من كلمة الأستاذ أحمد التوفيق وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، بمناسبة إعلان المجلس العلمي الأعلى عن خطة " تسديد التبليغ، يرجع لنصها الكامل في: " خطة تسديد التبليغ - دليل مرجعي في التأصيل والفهم والتنزيل، ص 13 - 33.

﴿هَضْمًا﴾ [طه: 112].

نسأل الله العليَّ القدير أن يرزقنا الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، وأن يجْعَلَنا من الداعين إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يتقبل منا صالح الأعمال، كما نبتهل إليه سبحانه وتعالى أن يُديم نعمة الأمن والسلم والرخاء على هذا البلد الأمين، وأن يحفظ مولانا أميرَ المؤمنين صاحبَ الجلالة الملكَ محمدًا السادس ناصرًا للإسلام وللمسلمين ... وأن يجعلنا جميعا من الهداة المهتدين، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ونبيّنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.